به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

أ.د. محمد علي آذرشب
أستاذ في جامعة طهران

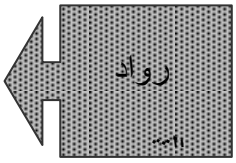

محمد مصطفى المراغي

١٢٩٨ ـ ١٣٦٤هـ/ ١٨٨١ ـ ١٩٤٥م

محمد بن مصطفى المراغي، نسبة إلى مراغة بصعيد مصر، وجهه والده إلى حفظ القرآن، ولقنه نصيبًا من المعارف العامة، ولما ظهر عليه من جدّ واجتهاد بعثه والده لطلب العلم في الأزهر.

اتصل بالشيخ محمد عبده، وكانت النقلة النوعيّة التي حدّدت مكانته العلمية، ومستقبله في مدرسة الإحياء والتجديد والإصلاح. تتلمذ على محاضرات الأستاذ الإمام في تفسير القرآن، وتأثر بمنهجه في التوحيد، وتنقية العقائد الإسلامية من نزاعات المتكلمين القدامى، و تأثر أيضًا بمنهج محمد عبده في البلاغة واللغة

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

العربية، وهو منهج تخطى عصور الجمود والركاكة والانحطاط.

له مواقف عظيمة تدل على شخصيته وعزته وكرامته، من تلك موقفه من الملك جورج الخامس البريطاني، فقد أبى حين كان قاضي السودان أن يخضع للبروتوكول في لقاء الملك، وأن ينحني أمامه.

ومن تلك موقفه من الحرب العالمية الثانية حين رفض الإمام المراغي فكرة اشتراك مصر في هذه الحرب، وأعلن بصراحة: إن مصر لا ناقة لها ولا جمل في هذه الحرب، وإن المعسكرين المتحاربين لا يمتان إلى مصر بأية صلة.

ومن تلك موقفه الرافض من طلب فاروق ملك مصر بإصدار فتوى تحرّم زواج الأميرة فريدة طليقته من أي شخص آخر بعد طلاقها!!

مشروعه في إصلاح الأزهر:

عين سنة ١٩٢٨ شيخًا للأزهر الشريف. رفع بعدها مذكرة إلى القصر لإصلاح الأزهر، فرفض مذكرته فاستقال من مشيخة الأزهر على أثر هذه الاستقالة أضرب الطلاب، واستمرت الاضطرابات في هذا المعهد العلمي، فاضطر

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

الانجليز أن يتنازلوا عن موقفهم المعارض من المراغي، فعاد إلى مشيخة الأزهر عام ١٩٣٥م.

في هذه الفترة الثانية هزّ المراغي الأزهر بعنف، فأنزل من شرفاته آثار الجمود، واستطاع نقل الأزهر من الجامع إلى الجامعة ومن الماضي إلى المستقبل حتى قيل عنه: «إن كان جوهر (الصقلّي) قد بنى الحجر فإن المراغي قد بنى الجوهر».

تم على يديه تقسيم القسم العالي للأزهر إلى ثلاث كليات: الشريعة واللغة العربية، وأصول الدين. ثم بدأ الإمام ينظم البعثات، وأنشأ مجلة الأزهر، وقسم الوعظ، ومعهد القراءات، ولجنة الفتوى، وأنشأ المدينة الأزهرية، ومكتب البحوث الثقافية، والمعاهد، والوحدة الطبية. وغيرها من الإصلاحات الادارية والعلمية.

خطابه العالمي:

انعقد في لندن مؤتمر عالمي سنة ١٩٣٦ للبحث في موضوع إيجاد زمالة عالمية بين الأمم كافة، ودُعي الشيخ محمد مصطفى المراغي لإلقاء خطبة فيه، فأرسل بهذه الخطبة وهي حافلة بالآراء الصائبة والنظرات البعيدة،

مما أجمع المؤتمرون على الإشادة بها وشكر كاتبها، جاء فيها:

(١) تشرفت بالدعوة إلى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره وكنت شديد الرغبة في شهوده وفي لقاء حضرات السادة ممثلي الأديان والمذاهب، ولكن أسبابًا قوية حالت دون بلوغي هذه الأمنية، فبعثت بكلمتي هذه وأنبت عني في إلقائها الشيخ عبد العزيز المراغي (الأخ الأصغر للشيخ وكان عضو جماعة كبار العلماء) المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلندن، وأنا راج منكم أن تتقبلوا أصدق عبارات التحية والإجلال، وأصدق الأماني لتحقيق الغرض السامي الذي تسعون إليه.

فكرة الزمالة طبيعية:

(٢) إن فكرة الزمالة تولدت في الجماعات الساذجة، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة في أشكالها البسيطة، ونمت الفكرة بنمو الجماعات، وامتد سلطانها فشملت القبائل، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة.

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها إلى بعض، ونشأ الشعور بوجوب جعل

الحياة العامة في البشرية كلها بمأمن من الغوائل، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة بل تحتاج إلى مشاركة عامة، أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنساني كله. ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية، بل هي حاجة طبيعية تولدت في النوع البشري منذ دور الطفولة، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان، ويعود عليه بالخير.

أسباب التفرق طبيعية:

(٣) ومع شعور الإنسان بالحاجة إلى الزمالة، ومع أن العقل يقتضيها، فقد كانت عوامل التفرق دائما ملازمة لهذا الشعور، لأن الإنسان لا يسيره العقل وحده ولكن تسيره أيضا غرائز حيوانية ركبت فيه، ومن هذه الغرائز حب الأثرة والغيرة والخوف والشك، وقد أضيف إلى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب، فوجد عامل آخر للتفوق، حتى أنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الإنساني المنشود تدافعه كل تلك النوازع في الإنسان، يبدو له أنه مطلب لا ينال في هذه الحياة، إذ يهوله ما

يحتكم فيها من شرور تصرفها تصريفا جائرًا شرسًا لا قلب له ولا وجدان.

التدين هو الدواء:

(٤) ولا أعتقد أن التقدم العلمي والفلسفي بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها، فقد شاهدنا الحروب تزيد هولا ووحشية كلما ازداد تقدم العلم، وأنه أمضى أسلحتها، بل في الحق إني لا أعتقد أنه سيجيء اليوم الذي تتحقق فيه المثل العليا للبشرية، لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة في الإنسان فإنه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار.

(٥) لكن هذه العقيدة لا يصح أن توقفنا عن البحث عن الوسائل الملطفة لتلك الغرائز والكابحة لجماحها، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل.

والمتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين، ودفعته إلى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة حكيمة مدبرة عادلة ترقب النيات وتحكم

الضمائر، وأن هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسئولية والمجازاة، ففي التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته عوامل ليست أقل خطرًا ولا أضعف أثرًا في دفع الإنسان إلى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية إلى الشرور والدافعة إلى الحرب والحرص، وإفساد الجماعة الإنسانية.

وليس من شك في أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة، واعتقاد أنها خير خالص يصل إليه الإنسان بالعمل الصالح أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر، يجعل قلب الإنسان مطمئنًا راضيًا إذا ساء حظه في الحياة الدنيا، ويغير نظره إلى هذه الحياة تغييرًا تامًا، ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم، يحفز الإنسان إلى الإكثار من عمل الخير ويبعده عن عمل الشر.

(٦) يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان من داخل الإنسان وهو خوف الله. وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا إلى جعل الإنسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ونبهوا الضمير الإنساني بواسطة التهذيب والتربية،

أغنى ذلك عن التدين. لكن أنى لهم ذلك، وكيف يستطاع تهذيب الدهماء ومن تلهيهم من أول أدوار الحاجة إلى القوت؟ فالرجوع إلى غريزة التدين أسهل. وهذا الشعور الديني إذا عمق وصلح أقوى ـــ أو على الأقل ليس أضعف ـــ من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب. وهذا الشعور يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والطبقة والثروة، وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى، ويهون عليها الفقر، ويخفف ثورتها عليه.

وهذا الشعور يكرم النفس الإنسانية ويحدوها إلى المعرفة والحكمة، ويكره إليها الجهل والحمق. كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلا، لولا طوارئ أخرى. ومن هنا تقوى طماعية المتدين في قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الإنسانية مهما عز ذلك أو بعد، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الإنسان.

(٧) نعم إن الإنسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاد قاس مخيف أدار رحاه الخلاف الديني، وكان فيه الشعور الديني الحاد

الجاعل قوة طائشة دفعت إلى عنف وتدمير رهيب مروع. وإن الإنسانية لترنو في خيبة إلى آلاف من الأجيال المتدينة لم تدنها كثيرًا من تلك الأخوة الإنسانية، بل لا تزال إلى اليوم يائسة منها. لكن المتدين مع ذلك كله يعاوده أمله القوي، ويدرك أن تلك الذكريات المروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص في طبيعة التدين أحدث ذلك كله، بل إن ذلك في الحق إنما سببته واقعية الحياة على مثالية التدين، فتحكمت الحياة في التدين، حين كان ينبغي أن يحكم التدين في الحياة؛ وسببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر استغلوا الشعور الديني استغلالا ماديًا في سبيل مآرب لا تثير دفين مخزياتها. وحسبنا أن نقول إن ما نال الإنسانية في عصور التدين من شر وما قعد بها من بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي، ليس لشيء في طبيعة التدين، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني. على أن ناموس التدريج الطبيعي يفسر هذا الذي كان من ألم وخيبة بأنه حال اقتضتها درجة رقي الحياة في تلك العهود. وأن ما صارت وتصير إليه تلك الحياة من رقي يؤهلها للانتفاع بالشعور

الديني في إدنائها من الغاية المرجوة الآمنة من إطار انحرافه أو فساده. وها هو ذا الرقي النفسي قد حسم فعلا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية، ووجه الشعور الديني توجيهًا أصلح نوعًا مما كان قديما. ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية.

(٨) وهذا ما جعل اغتباطي بهذا المؤتمر عظيمًا، فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية، وهي الزمالة الإنسانية، وهي الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنساني وأممه، فإنه بهذا السعي يحقق غرضًا أساسيًا من الأغراض التي سعت إليها الأديان، وعني بها الإسلام الذي أدين به. فقد نبه القرآن إلى وحدة الأبوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل، ولم يقم وزنًا لشرف المولد وكرم الجنس، ووضع معيارًا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل، وهو تقوى الله، وفي القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾. وطلب القرآن إلى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان، وفي القرآن الكريم: ﴿لا يَنْهَاكُمُ ٱللهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾.

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادئ السامية، حتى أبيح الإصهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها.

الزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة العالمية:

(٩) وإذا ما كانت تلك الزمالة أملا مرجو التحقيق يتداعى لتنميته رجال الدين ويحتفلون في جد وحزم، فمن الحزم إذن أن نعود إلى هذا الشعور الديني نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطرته في البشرية لنبدأ منه خطتنا في تنمية

الزمالة، وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم، بما في الأديان من الشعور الديني المشترك بينهما، وبما فيها من الفضائل العملية والغايات الاجتماعية الصالحة، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها. وكل ما في الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشري أسس صالحة ترمي إلى الخير، وإلى أن يكون الفرد عضوًا نافعًا في المجتمع يعاشر أخاه بالمعروف، ويدفع عنه النوائب، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الإنسان واقعة تحت الرغبات الإلهية مطلوبة للخالق العظيم الذي يحيي ويميت ويرزق ويغيث الملهوف والمضطر، ويعد بعد الموت حياة هنيئة لمن يعمل الصالحات.

والدعوة إلى تنمية الشعور الديني المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذي داهم الإنسانية لا يجيء من أديان المخالفين، وإنما يجيء من الإلحاد، ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعبدها، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزؤًا ولعبًا .

الأغراض التي يسعى إليها أهل الأديان:

(١٠) والأغراض التي أرى أن يسعى إليها أهل الأديان قسمان:

معنوية وعملية:

الأغراض المعنوية هي في الإجمال إزاحة العلل التي حالت دون تأثير الشعور الديني في تقريب ما بين الناس، وهي إما تلوثه بالشوائب المفرقة، وإما ضعفه وتحلله.

فإن الناس بين رجلين: رجل مؤمن قوي الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شرور الحياة لكنه منحرف عن الجادة تثور فيه عناصر الحقد على المخالف والكره له والتربص به، فهو في حاجة إلى توجيه إيمانه توجيهًا، وإلى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب، وإلى فهم معنى التدين فهمًا صحيحًا خاليًا من الأغراض البشرية المادية. ورجل ضعف إيمانه أو أقفر قلبه منه، وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التي تسمى مستنيرة ويدعوها الناس مثقفة. وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبي وما ثار بينهما من خلاف، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى آراء في الخير

والفضائل العملية وقفت بعض الأديان في سبيل الموافقة عليها، أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة إلى نواح لم يوافق الدين على ترسمها، فكانت صلة العلم المادي والعمل الخلقي والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرماته، وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سببًا في اتساع الهوة وجرأة المخالفة عصفت بالشعور الديني في قلوب أولئك المتعلمين، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم.

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الديني وإعادته يعمر القلوب، ويملأ النفوس هيبة ورهبة من الله، ورحمة ورفقًا بعباد الله، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية، وأمام تيارات التقدم العقلي والتحرير الفكري. ولا شك في أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقي الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم العادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة. ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور

الديني في قلوبهم فإنهم يكونون قوة فعالة في تنمية وسائط الإخاء البشري، ذلك بقوة إحساسهم، ودقة إدراكهم، واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معان روحية سامية مجردة عن العادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتنر طريقهم الفلسفة.

والأغراض العملية هي على الإجمال: جعل التدين أداة فعالة في تهذيب الجماعة وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان، من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية، وتصيير الفضائل العملية التي تدعو إليها الأديان كلها نظمًا عملية، بذلك يقل فتك الشرور بالإنسانية في الأمم، وتتقارب أنظارها، وتدنو من الإخاء الإنساني بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها.

(١١) ومما يثير العجب ويضاعف الألم أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضًا مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك، وسلكوا طرقًا في التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق، مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة ، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن

العزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول، ونسوا أن الإيمان لا يحل في القلب بالإكراه، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جاد في إنزالهم من مكانهم اللائق بهم، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية، وتطغى على ما بقي في النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية. وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة وهذه الإباحية التي يئن منها العقلاء، وهذه العادة المستحكمة التي تجر الويلات على الآمنين بين حين وآخر وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية.

لكن ما الذي كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان كما تعمل في غيرهم، وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغري غيرهم، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم، ويفتري بعضهم على بعض في الدين كما يفتري غيرهم؟

لكن قبسًا من النور لا يزال باقيًا للمتقين، وهو أن الله أرحم بعباده من أن يتركهم في هذه الشرور المتلاطمة أمواجها،

وأقدر على إيجاد الوسائل التي ترد الإنسان إلى مواطن الشرف والفضيلة. وأنتم موضع الأمل وموطن الرجاء.

الوسائل التي تتحقق بها الأغراض:

(١٢) وسأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد على تحقيق الغرض، مكتفيًا بالإجمال، تاركًا التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر، وللإبتكارات المتجددة التي ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبي الإنسانية:

أ) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد، ولذلك وسائل منها:

١- توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنساني بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعاظه.

٢- جمع كل ما في دين من المعاني الإنسانية السامية العامة من الرفق بالبشر والبرّ بهم من حيث هم أفراد من نوع الإنسان دون نظر إلى الفوارق الأخرى، وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات.

٣- جعل الدعاية للأديان والتبشير بها

قائمًا على أساس عقلي محض وحب للحقيقة، ورغبة صادقة في الوصول إليها مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة في توجيه الاعتقاد والإغراء به، وقصر الجهد على إبراز ما في الدين المدعو إليه من محاسن.

و هذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسمًا شريفًا نزيهًا صادق الرغبة في المسالمة.

(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني وبخاصة في الطبقات المستنيرة، فتعنى بتأييد مركز التدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر، تأييدًا يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه التماسًا للمعرفة، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل، وعن الارتكان على السلطة الروحية المستبدة، وبالجملة يبتعد عن الأخطاء الماضية التي دفعت الإنسانية ثمنها باهظًا مرهقًا. و يكون لهذه الهيئة شعب:

- شعبة تحدد ما بين العلم التجريبي

والدين من خلاف قائم أو خلاف يجدّ، وتتبع ذلك في الدوائر العلمية المختلفة، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حب للحقيقة وحرص عليها، في لباقة لا تدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد.

- شعبة تحتفي بالآراء الخلقية وبيان الفضائل وما يكون من ذلك جائزًا على الحياة المعنوية متأثرًا بأغراض نهمة ومطامع شريرة، فتبحث ذلك في عمق ودقة، ويذاع منه الآراء المقنعة التي تنال تأييد المفكرين المخلصين، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة.

- وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها، كالاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك، تبين منها موضع الخير وناحية الخلق، وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحياة. كل ذلك يذاع في الأسلوب الصحيح ليسمع الناس الرأي الصالح مؤيدًا بالبرهان، موفقًا بينه وبين التدين، مراعيًا في كل هذا وجه الله، ووجه الحق، ووجه الخير للإنسانية.

(١٣) ونظرًا لأن الإنسانية قد نالها عسف

كثير، ترى (بحق أو بغير حق) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها. فمن الحق أن تظفر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها، وأرى أن توكد الوحدة الدينية قولا وعملا، وأن تجدّ في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية، ولا إلى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ، وأنهم إنما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعاد الإنسانية وترفيهها، وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها، وأنهم قوّام على تفسير الناموس الإلهي بالحق والدعوة إليه ليس لهم من الأمر شيء، ثم تحافظ على ذلك أشد المحافظة، وتقوّم من يحيد عن هذا المبدأ ويخالفه.

إذ ذاك تستفيد الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني، وتكتسب المبادئ الدينية والفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة، سلطة عملية تمكن من السعي إلى حماية النظم والقوانين، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول

الصالحة.

وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع إلى تأييد مبادئهم وقواعدهم، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع إلى تأييد التعاليم المشتركة في الأديان، فيقاوم الزنا، وتحمى الأسرة، ويعاقب على الكذب والغيبة والنميمة والدس والوقيعة، ولو لم تصور في جرائم مادية، وتحدّ الحرية في التمتع وأسباب الشهوات، وتحرم المنافسة غير الشريفة، وتراقب المكاسب المادية ويحرم الخبيث منها، ويعاقب على الجشع والخداع والتغرير، إلى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره، وتطهير الإنسانية من أدناسه، فساء التطبيق وانحرفت وجهة التدين أو ضعفت، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم، والذين خلت قلوبهم من رهبة الله ورحمة عباده.

(١٤) وما من شك في أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستبتكر على يد رجالها الذين يزين الإيمان قلوبهم، وتطمئن نفوسهم روحانية الدين الصادقة، وسائل ناضجة فعالة لهذه الأغراض. ولكن يجب ألا ننسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول السياسة والاصطدام بها، وأن تعتمد على

تأييد الجماعات وتنمية الشعور الديني والشعور بالفضيلة، و على إنماء روح الكره لما يغمر العالم الآن من المفاسد والشرور التي نزلت بالإنسانية إلى مستوى منحط لا يفكر في غير قضاء الشهوات، و سد حاجة الغرائز البهيمية، وإشباع نهم القوى الشرسة وصفات العدوان.

(١٥) ذلك ما رأيته من اقتراحات لتنمية الزمالة العالمية، وقد قام على أساسين صحيحين. وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهي ممكنة وفعالة، وإن كانت تحتاج إلى جهد ودأب طويلين، ولكن المطلب نبيل والخطب جليل، وإن الإسلام ليمنحها تأييده القوي.

وفي أصول الإسلام أقوى الدعائم التي ترتكز عليها الفكرة. فهو يقرر أنه لا إكراه في الدين، ويقول للرسول صلوات الله عليه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ويقرر أن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ويخاطب العقل وينبه إلى التفكير فيما خلق الله، ويرفع العلم والعلماء.

و يقول نبي الإسلام: «إنما بعثت لأتمم

مكارم الأخلاق» و يقول له الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ ويحث على البر والرحمة وعلى مواساة الضعفاء والفقراء، بل وعلى الرفق بالبهائم، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة في بيت المال، وجعل للفقراء حقًا لازمًا مفروضًا في أموال الأغنياء، وجعل الجناية على نفس واحدة جناية على الإنسانية، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام.

و لا أطيل عليكم أيها السادة، فليس من غرضي ولا من غرضكم شرح أصول الإسلام و عرض مبادئه، ولكني بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم إلى أن الغرض الشريف الذي تسعون إليه لا ينافي قواعد الإسلام العامة.

(١٦) وإني أيها السادة في ختام كلمتي هذه أبتهل إلى الله يؤيدكم فيما تسعون إليه من خير للإنسانية، وأن ينير لكم الطريق ويهديكم سواء السبيل.

ملخص المشروع التقريبي للشيخ المراغي:

١ - التقريب عند الشيخ المراغي جزء من مشروعه الإصلاحي الشامل المتجه إلى الإحياء

الفكري والاجتماعي والديني.

٢- التقريب جزء لا يتجزأ من خطابه المنفتح العالمي في عرض الإسلام وبيان أصوله وأحكامه.

٣- يتضح الموقف التقريبي للشيخ حين زاره الإمام عبدالكريم الزنجاني عام ١٩٣٦ وتأكيده على ضرورة لقاء الحوزات العلمية الشيعية والسنية (انظر الإمام الزنجاني في أصحاب المشاريع التقريبية).

٤- ويتضح موقفه التقريبي من احتضان الشيخ محمد تقي القمي وتوفير الأرضية اللازمة لمشروع التقريب وبالتالي تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية (انظر الشيخ محمد تقي القمي في أصحاب المشاريع التقريبية).

٥- كما يتضح نهجه الإصلاحي التقريبي من اهتمامه بالشيخ عبدالمجيد سليم والشيخ محمود شلتوت لأن يأخذا مكانهما المناسب في جهاز الأزهر الشريف. (أُنظر الشيخ محمود شلتوت في أصحاب المشاريع التقريبية).

٦- من مشاريعه التقريبية فكرة إنشاء مجلس أعلى للنظر في أسباب تأخر المسلمين، وهو ما ذكره في رسالته إلى الإمام الزنجاني

(انظر الإمام الزنجاني في أصحاب المشاريع التقريبية).

٧- الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد، ورفض حصر التقليد بالمذاهب الأربعة متى صحّ النقل عن غير المذاهب الأربعة (انظر محور الفقه في استعراضنا لمجلة رسالة الإسلام).